مركز البيان للدراسات والتخطيط
Al-Bayan Center for Planning and Studies

جرحى الحشد الشعبي بين متطلبات التكيف وتأهيل المؤسسات

يوسف علاء

سلسلة إصدارات مركز البيان للدراسات والتخطيط

عن المركز

مركزُ البيان للدراسات والتخطيط مركز مستقلٌّ، غيرُ ربحيّ، مقرُّه الرئيس في بغداد، مهمته الرئيسة -فضلاً عن قضايا أخرى- تقديم وجهة نظر ذات مصداقية حولَ قضايا السياسات العامة والخارجية التي تخصّ العراق بنحو خاصٍ، ومنطقة الشرق الأوسط بنحو عام. ويسعى المركز إلى إجراء تحليلٍ مستقلٍّ، وإيجاد حلول عمليَّة جليَّة لقضايا معقدة تهمُّ الحقليْنِ السياسي والأكاديمي.

ملحوظة:

لا تعبِّر الآراء الواردة في المقال بالضرورة عن اتجاهات يتبناها المركز، وإنَّما تعبِّر عن رأي كتابِها.

حقوق النشر محفوظة © 2023

www.bayancenter.org
info@bayancenter.org

Since 2014

جرحى الحشد الشعبي بين متطلبات التكيف وتأهيل المؤسسات

يوسف علاء *

المقدمة

تواجه الأمم بعد الحروب التي تخوضها عدداً من التحديات، يرتبط بعضها بالأسئلة القيمية التي دعتهم إلى تلك الحرب وأسبابها، إلا أنَّ مواجهة تحدي العائدين من الحرب بظروفهم النفسية والاجتماعية تبرز كنصر مهم يجب معالجته، خصوصاً مع أولئك العائدين، وقد تركوا وراءَهم دماءَهم وأجزاء من أجسادهم، تذكِّرهم دوماً بتلك الحرب وتفصيلاتها، ولحظات إصاباتهم، فضلاً عن ظروفهم الاجتماعية والنفسية التي رافقت ذلك الفقدان، وأهدافهم التي ربما تتغيَّر مع الوضع الجديد.

دخل العراق في الحرب لمواجهة داعش، والجماعة الإرهابية التي سيطرت على أراض واسعة من العراق، وأصابت مرافق أمنية مهمة، مثل: الجيش، والشرطة بالصدمة في كيفية التعاطي مع تلك الجماعات، فبرزت الحاجة إلى تعزيزها من المواطنين المؤمنين بتلك الحرب، ليقدِّموا بصورة جريئة لمواجهة تقدُّم تلك الجماعات، فكان لا بدَّ من أن تكون لتلك الحرب قدسية عالية لدفع المواطنين إلى التطوع، فأصدرت المرجعية الدينية في النجف الأشرف المتمثلة بآية الله السيد علي السيستاني فتوى تدعو المواطنين إلى التطوع والدفاع عن الوطن، وكانت تلك البذرة التي دفعت المواطنين إلى القتال بصورة مختلفة، وتغيير موازين الحرب، هبَّ المواطنون من الفئات المهمشة والمحرومة من الذين يؤمنون بقدسية تلك الحرب.

عملت على إجراء مقابلات وتحليلها لتلك الفئة التي خاضت الحرب بعد الفتوى، والتي سُمِّيَت فيما بعد بالحشد الشعبي، وأصبحت قوة نظامية تابعة إلى الدولة العراقية بقانون شُرِّعَ في البرلمان عام 2016.

* باحث.

قدمت هيئة الحشد الشعبي عدداً من الشهداء والجرحى من قادتها ومقاتليها، إذ بلغ عدد الشهداء (7000) شهيداً، أمَّا الجرحى بلغ عددهم 25000 ألف جريح. تحاول هذه الدراسة مناقشة الأوضاع الاجتماعية للجرحى، والتغيرات التي حدثت لهم قبل وبعد الإصابة، ومدى التزام الدولة بتوفير مستلزمات الرعاية الطبية والصحية، فضلاً عن رؤيتهم للحشد الشعبي على المدى البعيد؟ وشملت الدراسة (جرحى قوات الحشد الشعبي) في محافظة بغداد، وديالى، والبصرة، وقد اقتصرت المقابلات على (17) جريحاً أُخْتِيروا بطريقة قصدية، من مستويات تعليمية متنوعة، وإصابات مختلفة، ويبيّن الجدول في أدناه توزيع عينة الدراسة وَفْق متغير العمر، والمستوى التعليمي، ومكان السكن، والحالة الاجتماعية، ونوع الإصابة.

يبين الجدول رقم (1) توزيع البيانات الاجتماعية للمصابين من مقاتلي الحشد الشعبي

توزيع عينة الدراسة		التكرار	النسبة المئوية
الأعمار	25 - 20	4	23.5
	31 - 26	7	41.1
	37 - 32	3	17.7
	43 - 38	3	17.7
التعليم	ابتدائي	3	17.7
	متوسط	7	41.1
	إعدادي	4	23.5
	جامعي	3	17.7

توزيع عينة الدراسة		التكرار	النسبة المئوية
مكان السكن	الغزالية	6	35.3
	الرحمانية	1	5.9
	الشهداء	3	17.6
	الشعلة	5	29.4
	ديالى	1	5.9
	البصرة	1	5.9
الحالة الاجتماعية	متزوج	12	70.5
	عازب	5	29.4
نوع الإصابة	في الرجل	7	41.1
	الظهر	4	23.5
	في الكتف	3	17.7
	الجسم	3	17.7

أولاً: تأثير الإصابة على الحياة الاجتماعية والحاجة إلى العمل

يتضمَّن ذلك المحور من المقابلات درجة التكيُّف التي حصل عليها المصابون، ولا شكَّ في تغيُّر الظروف الاجتماعية للمصابين؛ لأسباب عديدة أهمها انعدام الحركة أو قلتها لبعضهم، فضلاً عن تغيُّر طريقة التعاطي من الأهل، والأقرباء، والأصدقاء بعد الإصابة.

كانت درجة التكيُّف للمصابين مختلفة، من شخص إلى آخر، وأحد تلك الأسباب هو الاختلاف في درجة الإصابة، فقد لُوحِظ أنَّه كلما زادت نسبة الإصابة تقوَّضت العلاقات الاجتماعية، وتكيُّف المصاب بصورة أقل، في حين الذين تكون إصاباتهم تسمح لهم بالحركة فإنَّهم يملكون القدرة على المواجهة بصورة أكبر.

اتفق معظم المصابين على أنَّ هناك مساندة عالية وجدوها من الأهل والأقارب، خصوصاً الأقارب من الدرجة الأولى، فضلاً عن التعامل العالي من قبل الجيران، بل يشعروهم بأنَّ لهم فضلاً في مواجه الجماعات الإرهابية، ويتمايز الحديث عن الحرب، ومواجهة الأعداء بعلو كعب المصابين فيها، فاللقاءات عادة ما تأخذ منحى ذكرى الحرب، والأنظار تتجه إلى المصاب في تلك الحرب، يبيّن فيها بطولاته، وكيف واجه الداعشيين؟! ويعود ذلك إلى شيئين، الأول، في أنَّ الجميع يَعدُّ تلك الحرب كانت ضرورية، بل أنَّ المشاركين فيها لهم الفضل في الانتصار على أعدائهم، أمَّا السبب الأقوى فهم يحملون قداسة الفتوى، وأنَّ مشاركتهم تمثِّل طاعة كبيرة للمرجعية، خصوصاً في تلك البيئات التي يعيشون فيها، والتي تكون متقاربة في النظر إلى قدسية تلك الحرب والفتوى.

إلا أنَّ ذلك يكون مغايراً للذين تصل عندهم الإصابة إلى فقدان الحركة أو قلتها، كمصابي الظهر، والأرجل، أو الشلل الرباعي، والحاجة إلى كراسي للتنقُّل والحركة، فإنَّ أولئك يعانون ظروفاً نفسيةً صعبةً؛ بسبب قلة التواصل، والتي ترتبط بسببين الأول، قلة التواصل نتيجة لقلة الحركة، والثاني، الظروف النفسية التي يعاني منها المصابون، والتي تؤدِّي بهم إلى الانعزال وعدم التكيُّف، ويتجه بعضهم إلى تناول العقاقير المهدئة لتجاوز تلك الظروف، يذكر أحد المصابين بأنَّه قام بأخذ عقاقير مهدئة أثناء وجوده في المستشفى لأكثر من شهرين؛ بسبب الإصابة، وهو يتعرَّض للتنمُّر من أقرب أصدقائه.

إنَّ الاستقرار الاجتماعي والنفسي أهم حاجة لجرحى الحشد الشعبي في جانبيها المادي والمعنوي، فالجريح بحاجة إلى منظومة توازن بين حاجاته، وقدراته، وخصوصيات واقع المرحلة التي يمر بها، وتغذِّي كل جانب منه، لكي تجعل منه إنساناً مستقراً واثقاً من قدراته وإمكانياته، ويكون قادراً على مواكبة الحالة التي يمر بها[1].

ويذكر أحد المصابين بعمر (25 عاماً) الذي كان يمارس مهنة (النجارة) بعد التحاقه بقوات الحشد الشعبي بأنَّه أُصِيبَ في اليد، وأدَّت هذه الإصابة إلى بترها؛ ممَّا أضطر إلى التعايش مع واقعه وترك العمل، وبين أثناء المقابلة بأنَّه يتقاضى راتباً من هيئة الحشد إلا أنَّه كان قبل ذلك كان يمارس مهنة تجعله قادراً على تحمل كل مصاريف الحياة، في حين هو الآن مجبر على التكيُّف مع راتبه

١ زهراء سهام هندي، الأفكار السلبية التلقائية وعلاقتها بالقلق الوجودي لدى جرحى الحشد الشعبي، رسالة ماجستير منشورة، جامعة القادسية، قسم علم النفس، ٢٠٢٠، ص٥٩.

التقاعدي، من دون القدرة على مواجهة طوارئ الحياة الاقتصادية. يبيّن ذلك بأنَّ الرواتب التي تصرف لأولئك الجرحى، وإن كانت دوافعها تقديرية لما قدموه، إلا أنَّهم يشعرون بالعجز؛ لعدم قدرتهم على العمل، ومن هنا تبرز الحاجة إلى إيجاد طرائق تأهيلية تساعدهم على اكتشاف خبرات جديدة تتناسب مع أوضاعهم الجديدة. وهذا ما لم يُعالَج إلى الآن؛ لأنَّ قدسية الحرب وتقارب الأهل، غير كافية لوحدها فهم بحاجة إلى أن يثبتوا للجميع بأنَّهم غير عاجزين وباستطاعتهم العمل مع إصاباتهم.

ولا يقتصر ذلك على العمل، إذ يوفِّر التأهيل لهم بيئة مناسبة؛ لممارسة هواياتهم وَفْق متطلبات وضعهم الجديد.

أشار معظم المبحوثين إلى أنَّهم لم يتقدَّموا إلى عمل؛ لأنَّ أثر الإصابة يمنعهم من ذلك، في حين ذكر بعض المبحوثين أنَّهم تقدَّموا إلى عمل، ورفضوا، وكان ذلك الرفض له تأثير سلبي عليهم من ناحية نفسية، إذ ذكر أحد المبحوثين (م15) (35عاماً) أنَّه تقدَّم إلى عمل ورُفِض؛ بسبب إصابته، إذ تلقَّى الأمر مثل الصاعقة عليه، وأنَّه كان يفكِّر سيقبل في العمل، لكنَّه رفض ودخل في حالة غضب، إذ قال: (الإعاقة لا تمنعني من العمل، لكن أصاحب العمل لا يقبلون بإصابتي)، وأشار الآخرون إلى أنَّهم لم يتقدَّموا إلى عمل؛ لأنَّهم لا يستطيعون التحرُّك والتنقُّل بسهولة، وأنَّ حياتهم تغيَّرت بعد الإصابة عمَّا قبل الإصابة، وجعل هذا الأمر لا يفكرون بالعمل بصورة مباشرة، وعند سؤالهم عن أوقات الفارغ الكثيرة، وقد ذكر معظم المبحوثين أنَّهم يقضون أوقاتهم إمَّا في وسائل التواصل الاجتماعية أو في المقاهي الشعبية، ومتابعة الأحداث السياسية والاجتماعية العراقية والعالمية، وذكر أحد المبحوثين (م1) (28 عاماً) أنَّه يقضي كثيراً من وقته في الرسم؛ لأنَّه يهوى الرسم.

ثانياً: **المشاركة في الفعاليات الثقافية والاجتماعية والدينية**

تُعدُّ المشاركة في الفعاليات المجتمعية هي إحدى الوسائل التي يحتاجها الأفراد؛ ليرووا ظمأ حاجاتهم الروحية والنفسية، ولا شكَّ في أنَّ المصابين في الحشد الشعبي بحاجة بصورة كبيرة لتلك الفعاليات، ليثبتوا بأنَّهم ما زالوا موجودين في ذلك المجتمع يتشاركون معهم في فعالياتهم، وتعزيز

رغباتهم الروحية وحاجاتهم العاطفية. أجاب معظم الجرحى بأنَّهم مواظبون على المشاركة في الفعاليات الدينية، والتي تتمثَّل في الزيارات، والطقوس الحسينية، وذلك مرجعه إلى سببين الأول، يتمثَّل في أنَّ لهم طلبات وشكوى يعرضونها في تلك المناسبات؛ لتخفيف العبء الجسدي المتمثل بالأوجاع التي يتعرضون لها أثناء الإصابة، أمَّا السبب الآخر فهو استمرار وجودهم ضمن نطاق القدسية التي حصلوا عليها أثناء مشاركتهم في الاستجابة للفتوى؛ لأنَّ عدم مشاركتهم قد تفقدهم تلك القدسية التي ينظر بها الناس بأنَّهم ذهبوا نتيجة لوازع ديني.

في حين ذكر معظم المبحوثين بقلة المشاركة في الفعاليات الاجتماعية والثقافية على عكس الدينية، إذ أشاروا إلى أنَّهم لا يذهبون إلى معظم الفعاليات الاجتماعية؛ بسبب عدم رغبتهم المتولدة عن إصابتهم، أو أنَّهم لا يريدون المشاركة أصلاً في تلك الفعاليات، وذكر (م 7) (32 عاماً) أحد المبحوثين، إذ إنَّه لم يذهب إلى أي مناسبة اجتماعية؛ لأنَّه ليس لديه الرغبة في المشاركة؛ لأنَّ إصابته تحدُّ من حركته، إذ قال لا يمكنني الوقوف لفترة طويلة، أو التحرُّك بصورة طبيعية؛ لذا ابتعد عن هكذا مناسبات التي تولد له شعور سلبي. وذكر (م10) (43 عاماً) أحد المصابين أنَّه لا يشارك في أي مناسبة، وأرجعَ سبب ذلك إلى إصابته التي يشعر بالضعف والحركة، ويولِّد هذا الشعور له العجز، وعدم الذهاب.

ومن تلك الإجابات المتمثلة بعدم التوازن بين الانصهار والوجود الكبير في الفعاليات الدينية، وتكاد تختفي في الفعاليات الاجتماعية والثقافية الأخرى، إذ إنَّ هناك ضغطاً كبيراً يواجه المصابون، متمثلاً بعدم قدرتهم على إشباع حاجاتهم النفسية والاجتماعية بصورة متكاملة، ويوجد توجُّه إلى جانب معين دون الجوانب الأخرى؛ ممَّا يولِّد ضغطاً نفسياً؛ نتيجة الإحباطات المتولدة من عدم المشاركة الاجتماعية في بعض الجوانب، ممَّا يتطلَّب تأسيس نقابات، وأماكن لقاء لأولئك الجرحى يفرغون فيها عواطفهم، ونزعاتهم، ويتبادلون رغباتهم مع أطراف متشابهين معهم، بل تكون فيه

المنافسة بصورة كبيرة لتقاربهم فيما بينهم.

ثالثاً: **توفير مستلزمات الرعاية الطبية والصحية والخدمية**

تتوزَّع حاجات الجرحى من الحشد الشعبي بين نوعين من الحاجات الأولى هي من تكفلت بها الهيئة، سواءً كانت الطبية منها والعلاجية والزيارات الدورية لمتابعته من قبل الطبيب النفسي أو الباحث الاجتماعي، وثانيها من المؤسسات الساندة المرتبطة بسائر المؤسسات في الدولة العراقية، سواءً الحصول على مستمسكات ثبوتية من دوائر وزارة الداخلية، أو البطاقة التموينية من وزارة التجارة واللوازم الأخرى.

يتضح عن طريق المقابلات بأنَّ جرحى الحشد يواجهون تناقضاً في التعامل معهم، فَهُم يُعْتَنَى بهم، وتُوفَّر مستلزماتهم على درجة عالية في مؤسسات الحشد الشعبي، في حين يواجهون بيروقراطية صعبة لدى المؤسسات الأخرى، ومؤدَّاه بأنَّ العراق يعاني من ازدواجية المؤسسات، في حين يتطلَّب أن يكون لديهم امتيازاً لتسيير لوازمهم إلكترونياً، ممَّا يسهِّل عليهم الحركة، وذلك غي موجود في مؤسسات الحشد. وهذا ما أشار إليه أحد المبحوثين (بأنَّ لديه معاملة في البطاقة التموينية استمرت أربعة أشهر، وتأخير في إجراءات استلام معاملة البطاقة الموحدة العراقية). في حين ذكر (م13) (23 عاماً) أحد المبحوثين أنَّ إصابته استمرت لمدَّة طويلة؛ لأنَّه احتاج إلى عملية خارج العراق، ولكنَّه لم يذهب؛ بسبب الأمور الإدارية والمالية، إذ إنَّ معاملته استمرت لثلاثة أشهر، ولم ترسل، إذ اُضْطُرَّ إلى استكمال علاجه داخل العراق، وأشار أحد المبحوثين (م 6) (40 عاماً) إلى أنَّ إصابته كانت تحتاج إلى عملية صعبة، وقال إنَّه سافر إلى إحدى الدولة المجاورة لإجراء العملية، إذ تلقَّى العلاج هنالك، وقال إنَّ الدولة لم ترسله لتلقِّي العلاج، لكنَّه ذهب عن طريق أصدقائه، وذكر (م 17) (29 عاماً) أحد المبحوثين أنَّه يجب على الدولة دعم المستشفيات بصورة كبيرة، وتوفير أطراف اصطناعية من مناشئ عالمية، و(عكازات)؛ لأنَّ معظم المستشفيات الحكومية لا توجد فيها أطراف اصطناعية، وذكر أنَّه عانى كثيراً؛ بسبب الأطراف الاصطناعية، والمادة التي توضع بها.

رابعاً: **القتال في المستقبل**

يواجه ذلك السؤال تحدياً في كبرياء أولئك الجرحى، وخروجهم المقدس الذي لا يتركون الإشارة إليه في جميع أجزاء المقابلة، إذ بفقدان ذلك التقديس يصابون بالإحباط؛ لأنَّهم يشعرون بأنَّهم استبدلوا ما كانوا يملكون من أعمال وصحة وقوة، بقدسية اجتماعية ودينية تعطيهم ميزة عن الآخرين يواجهون بها جميع أفراد المجتمع.

إنَّهم أجابوا بصورة كبيرة ومباشرة بأنَّه (نعم) إن عادت الظروف والحرب والفتوى بأنَّهم سيعودون، والملاحظ بأنَّ تلك الإجابات ترتبط ارتباطاً مباشراً بالأعمار التي قُوبِلت، فالأعمار الأكبر هي من أجابت بـ(نعم)، إلا أنَّ بعضاً منهم، وهم الأقل عمراً، أجابوا بـ(لا)، فالشباب الأصغر عمراً هم الذين يواجهون ذلك الإحباط بصورة أكبر. إذ أشار أحد الشباب (22 عاماً) إلى (أنَّه لن يذهب إلى القتال مرة أخرى إذا تطلب الأمر منه ذلك؛ لأنَّه لم يتلقَّ الدعم الكامل المادي والمعنوي، والشعور السيِّئ الذي شعره به أثناء أصابته وبعده الذي ولَّد له الشعور السلبي، فضلاً عن حالته المادية الصعبة، إذ قال إنِّي تركت عملي وذهبت للقتال، والآن لا يمكنني العمل، ولم أتلقَّ الدعم الكامل، فلماذا أذهب مرة أخرى؟!).

تطلَّب النتيجة الوقوف جدياً بالتعامل التأهيلي بصورة مختلفة، والنظر إلى الأعمار الصغيرة، والذين يملكون الجرأة ليقولوا (لا) لن نعود، فإن لم يُؤهَّلوا نفسياً واجتماعياً بدوائر خاصة ومتخصصين سيكونون أشد عداوة على المجتمع والدولة، وحينذاك ستكون فئة العائدين من الحرب مشكلة اجتماعية كبيرة؛ لوجود الإحباطات الكبيرة المرافقة لما بعد العودة.

الخلاصة:

بناءً على ما سبق، عن طريق المقابلات التي أُجْرِيت مع جرحى قوات الحشد الشعبي؛ فإنَّ بعض التغيرات طرأت على حياتهم الاجتماعية خصوصاً بعد الإصابة من قبيل الشعور بالعزلة، والابتعاد عن مخالطة الآخرين، فضلاً عن الوضع المعيشي الصعب، وكذلك مشاركة الأصدقاء والأقارب في بعض المناسبات الاجتماعية، والذهاب إلى الفعاليات الاجتماعية والثقافية، لذا ينبغي على الحكومة والجهات المعنية في هيئة الحشد الشعبي ومنظمات المجتمع المدني أن تساهم بدعم هذه، وتقدِّم لهم الاحتياجات والمستلزمات المطلوبة، فضلاً عن إعادة تأهيلهم؛ بسبب الظروف النفسية الصعبة التي مرُّوا بها جرَّاء الإصابة، وإشراك اختصاصيين نفسيين واجتماعيين؛ لمساعدة المرضى والمصابين في تخطي إصاباتهم؛ لأنَّ الجانب النفسي والمعنوي له أثر كبير في علاج المصاب يوازي الأثر العلاجي، وهناك الجانب الأهم، وهو أنَّ رواتبهم لا تكفي لسد الحاجة، وأنَّ بعضهم لا يملكون رواتب، ومن ثَمَّ يجب على الدولة والجهات المختصة أن تأخذ إجراءاتها بهذا الشأن، فضلاً عن تمكينهم اجتماعياً وثقافياً، وتوفير دورات مهنية وحرفية وغيرها من الأمور والفعاليات الرياضية، تمكِّنهم من إعادة دمجهم اجتماعياً في المجتمع، وتوفر لهم التسهيلات الكبيرة من ناحية مراجعة الدوائر الحكومية والخدمية وغيرها من الأمور الإدارية، أو توفير منصات إلكترونية، خصوصاً يمكن عن طريقها إجراء معاملاتهم.

ويمكن تلخيص المتطلبات التي تعيد تكيف الجرحى مع مجتمعهم، هي:

1. الحاجة إلى إيجاد طرائق تأهيلية تساعدهم على اكتشاف خبرات جديدة تتناسب مع أوضاعهم الجديدة. وهذا ما لم يُعالج إلى الآن؛ لأنَّ قدسية الحرب وتقارب الأهل غير كافيين لوحدهما، فهم بحاجة إلى أن يثبتوا للجميع بأنَّهم غير عاجزين، وباستطاعتهم العمل مع إصاباتهم.

2. يتطلب تأسيس نقابات وأماكن لقاء لأولئك الجرحى يفرِّغون فيها عواطفهم، ونزعاتهم،

ويتبادلون رغباتهم مع أطراف متشابهين معهم، بل تكون فيه المنافسة بصورة كبيرة لتقاربهم فيما بينهم.

3. التخلُّص من ازدواجية المؤسسات في التعامل مع الجرحى، وأن تتعامل جميع المؤسسات معهم على أنَّهم بحاجة إلى دعم.

4. الحاجة إلى تسيير أمورهم واحتياجاتهم الإدارية إلكترونياً يسهل عليهم الحركة.

5. التأهيل النفسي والاجتماعي ومراعاة الأعمار والفروقات فيما بينها؛ لما له من أثر في اختلاف الرؤى والتعاطي مع الوضع الجديد لهم.